الباب الثاني

الإعجاز العلمي
في السنة النبوية المطهرة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مكانة السنة في الإسلام

من أسس الإسلام العظيم: **العقيدة الصحيحة، والعبادة المشروعة، وحسن الخلق، وحسن المعاملة.** والعقيدة الصحيحة قوامها: الإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والعبادة المشروعة لا بد أن تكون بياناً ربانياً خالصاً لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية، والأخلاق والمعاملات هي ضوابط للسلوك. والتاريخ يؤكد عجز الإنسان عن وضع ضوابط لسلوكه، ومن هنا كانت ضرورة الوحي بالدين: لأن هذه القضايا إما أن تقع في إطار الغيب المطلق الذي يحتاج الإنسان فيه إلى بيان من الله ـ تعالى ـ كمجال العقيدة، أو أن تقع في مجال الأوامر الربانية الخالصة كقضية العبادة، أو تقع في محال ضوابط السلوك من مثل دساتير الأخلاق، وفقه المعاملات، وكلها من ركائز الدين. والإيمان بالله ـ تعالى ـ يقتضي التسليم له وحده بالألوهية، والربوبية، والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد) وهو التوحيد الخالص، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

والإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله يقتضي التسليم بوحدة الدين، فكما أن إلهنا واحد فلا بد أن تكون هدايته للبشرية واحدة، وهي: حقيقة يقررها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ

مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقوله ـ عز من قائل ـ:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلام العظيم علمه ربنا ﷻ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، وعلم آدم بنيه، وكلما عاش الإنسان بهذا الهدي الرباني عاش سعيداً، محققاً رسالته في هذه الحياة: عبداً لله (الواحد الأحد)، يعبد ربه ـ تعالى ـ بما أمر، ويجتهد في حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض وذلك بعمارتها، وإقامة عدل الله فيها، حتى يلقى الله ـ تعالى ـ وهو راض عنه!

ولكن الإنسان فيه ميل للنسيان، وفي نفسه صراع بين الحق والباطل، وهو معرض لوساوس الشيطان، وللإغواء المستمر بالخروج على منهج الله. ومع النسيان، والصراع، والإغواء تفقد المجتمعات الإنسانية نور الهداية الربانية ممثلة في الدين الذي شرعه الله - تعالى - لعباده، وهو الإسلام العظيم، وبفقدان الدين أو تحريفه وتبديله تفقد تلك المجتمعات الإنسانية سعادتها، وتهبط في دياجير من الظلم والظلام الذي يشقيها ويتعسها، ويشقى جميع من على الأرض من حولها!ويبقى الحال كذلك حتى يَمُنَّ الله ـ تعالى ـ على البشرية برسول جديد يأتيهم بنفس الرسالة، ومن نفس المصدر، يدعوهم إلى الإسلام من جديد فيقبله من يقبله، ويرفضه من يرفضه، وما أكثر الرافضين للحق في كل زمان ومكان.

وظل الحال كذلك والإنسانية بين استقامة على منهج الله وانحراف عنه، في مد وجزر، حتى مَنَّ الله ـ تعالى ـ على عباده بالنبي الخاتم والرسول الخاتم، ومعه الرسالة الخاتمة «الإسلام» في كماله وتمامه، وهي الرسالة التي تعهد الله ـ تبارك اسمه ـ بحفظها حفظاً مطلقاً، فحفظت بنفس اللغة التي أوحيت بها (اللغة العربية)، وحفظت بتفاصيلها الدقيقة كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً على مدى أربعة

عشر قرناً أو يزيد، وسوف تظل محفوظة بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى ما شاء الله: وذلك تحقيقاً للوعد الإلٰهي الذي قطعه ربنا ﷻ على ذاته العلية (ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً) فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. هذا في الوقت الذي تعرضت كافة صور الوحي السابقة للضياع التام، وتعرض ما بقي عن بعضها من ذكريات لقدر من التحريف الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها..! ويخبرنا الرسول الخاتم ﷺ بأن الله ـ تعالى ـ قد مَنَّ على البشرية بمائة وعشرين ألف نبي، وأن الله ﷻ قد اصطفى من هذا العدد الغفير من الأنبياء ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً[1]، ولا يوجد أثر لأي من رسالاتهم اليوم سوى ما بقي من ذكريات عن رسالة موسى عليه السلام، وقد تعرضت إلى قدر من التحريف الشديد على أيدي أحبار اليهود، وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن هذه الأخبار المجموعة الآن فيما يطلق عليه اسم: «الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم» لم تدون إلا بعد وفاة موسى عليه السلام، بأكثر من ثمانية قرون، وأنها قد دونت بلغات غير لغة الوحي بها، ثم أضيف إليها العديد من الأسفار المنحولة، والقصص المكذوبة، والمسماة بأسماء عدد من الرجال والنساء، منهم من هم ليسوا برسل ولا بأنبياء، وذلك ليشتري بها أحبار اليهود ثمناً قليلاً كما وصفهم القرآن الكريم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وبالمثل، فإن ما بقي من ذكريات عن رسالة نبي الله عيسى عليه السلام، كتب بعد رفعه بأكثر من قرن من الزمان على أقل تقدير، وكتب بأيدي أناس عديدين من

---

(١) روى الإمام أحمد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال ﷺ: «**آدم..**» قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: «**نعم نبي مكلم**». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «**ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراً**»، وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشراً**» (رواه أحمد).

المجهولين، الذين هم ليسوا بأنبياء ولا مرسلين، فلا يعرف منهم نبي واحد ولا رسول واحد، وكتبت هذه المذكرات في أماكن متفرقة من الأرض، وفي أزمنة متباعدة وبأساليب متعددة متباينة، وبلغات مختلفة، ثم جمعت بأيدي أناس من المجهولين أيضاً، وأنها لا تزال تُعدل إلى يومنا هذا: بين حذف وإضافة، وتغيير وتبديل، وترجمات متعارضة، واختلافات فارقة، ومراجعات متعددة، وانحراف واضح! بينما تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ رسالته الخاتمة، ومرد ذلك إلى العدل الإلٰهي الذي يقتضي ألا يعذب عبداً من عباده بغير إنذار كافٍ، وفي ذلك يقول: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ولما كان سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولما كانت رسالته قد تكاملت فيها كل رسالات السماء السابقة، فختمت برسالته الرسالات، وببعثته النبوات، وانقطع وحي السماء، كان لا بد من حفظ هذه الرسالة الخاتمة وإلا ما تحقق وعد الله ألا يعذب عبداً إلا بإنذار، وبإرسال رسول.

وببقاء رسالة سيدنا محمد ﷺ محفوظة بحفظ الله فكأنه لا يزال قائماً بيننا، بشيراً ونذيراً، يأمرنا بأوامر الله ﷻ وينهانا عن نواهيه.

ورسالات السماء هي هداية من الله ـ تعالى ـ للإنسان في القضايا التي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيها أية تصورات أو ضوابط صحيحة، وذلك إما لوقوعها في دائرة الغيب المطلق الذي لا سبيل للإنسان في الوصول إليه إلا عن طريق وحي السماء ـ من مثل قضايا العقيدة ـ أو لكونها في دائرة الأوامر الإلٰهية المطلقة أو النبوية المحددة، والتي لا سبيل للإنسان في الوصول إليها إلا عن طريق الرسل والأنبياء ـ وذلك من مثل قضايا العبادة ـ أو لتركزها في دائرة ضوابط السلوك التي يعجز الإنسان دوماً عن وضع ضوابط صحيحة لنفسه فيها، وذلك من مثل دستور الأخلاق وفقه المعاملات - وهذه كلها من القضايا التي إذا خاض فيها الإنسان بغير هداية ربانة خالصة فإنه يضل ضلالاً بعداً.

والذي يتأمل هذه القضايا في كتاب الله ﷻ أو في سنة رسوله ﷺ يجدها واضحة الدلالة على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، ومؤكدة أن النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ الذي تلقى القرآن الكريم كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض. من هنا كان القرآن الكريم، وكانت سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ بما فيهما: من عقيدة صحيحة، وعبادة مشروعة، ودعوة إلى مكارم الأخلاق وطيب المعاملات ونبل السلوك ـ كافيَيْن لدعوة كل ذي عقل سَوِيٍّ إلى دين الله الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه. ولكن الله ـ تعالى ـ يعلم (بعلمه المحيط بكل شيء) أن الإنسان سيصل في يوم من الأيام إلى مرحلة كالتي نعيشها اليوم، يتجمع له فيها من المعارف بالكون، ومكوناته، وظواهره، وسننه، ما لم يتوافر لجيل من الأجيال من قبل؛ فينبهر الإنسان باكتشافاته العلمية، وتطبيقاتها التقنية انبهارا يغمسه في أمور الدنيا إلى آذانه، ويصرفه عن أمور الدين، وركائزه، وأركانه، أو يشغله عنها حتى يتجاهلها تماماً، أو ينكرها بالكامل، كما هو حادث في غالبية المجتمعات غير المسلمة التي ركبها الزهو والغرور بإنجازاتها العلمية والتقنية، فنسيت الله ـ تعالى ـ ونسيت الموت، وحساب القبر، وهول كل من البعث، والحشر، والعرض الأكبر أمام الله، والحساب، والميزان، والصراط، ونسيت الخلود في الحياة القادمة إما في الجنة أبداً وإما في النار أبداً، فضلت وأضلت، وهبطت في سلوكياتها الاجتماعية إلى ما دون الحيوانية، وهددت مصير البشرية كلها بما تملكه من أسلحة وتقنيات الدمار الشامل؛ ولذلك أبقى ربنا ـ الحكيم الخبير ـ في محكم كتابه، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ من حقائق الكون، ما يمكن أن يقيم على إنسان اليوم الحجة البالغة بالمنطق العلمي، الذي يتباهى به، ويثبت له باللغة الوحيدة التي يفهمها (وهي لغة العلم) أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي يجب ألا يعبد سواه، وأن هذا الرسول الخاتم الذي تلقى القرآن الكريم كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض، وهذا وحده قادر على أن يحرك القلوب الواعية، والنفوس السوية، والعقول المنصفة

إلى قبول دين الله الذي لا يرتضى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه، فيعود الناس ـ وفي مقدمتهم أهل العلوم البحتة والتطبيقية ـ مرة أخرى إلى الله، مُسَلِّمين بحقائق الغيب التي بدأت الحضارة المادية المعاصرة بإنكارها، وانتهت بحوثها العلمية إلى إقرارها والتسليم بصدقها!

وعلى ذلك، فإن من الأسرار المكنونة في كتاب الله (القرآن الكريم)، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ تلك الإشارات الكثيرة إلى الكون وإلى عدد من مكوناته، وظواهره، وسننه، والتي جاءت في أكثر من ألف آية صريحة من آيات القرآن الكريم، وفي العديد من أقوال المصطفى ﷺ التي نسلم بأنها لم تَرِدْ لنا من قبيل الإخبار العلمي المباشر؛ وذلك لأن الكسب العلمي قد تُرِكَ لاجتهاد الإنسان جيلاً بعد جيل، وإنما جاءت تلك الإشارات الكونية كلها في مقام الاستدلال على طلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة في الخلق، وفي تأكيد أن الذي أبدع هذا الخلق قادر على إفنائه، وعلى إعادة خلقه من جديد، وقد كانت قضايا الخلق والبعث ـ ولا تزال ـ معضلة العقول القاصرة، والقلوب الغافلة، وحجتهم في إنكار الخالق وجحوده ﷻ وفي رفض ما أنزل من الدين!!

ونحن نسلم بأن هذه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتضمنة بعض الإشارات إلى الكون ومكوناته وظواهره، جاءت في مقام الاستدلال على الألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة لله الخالق الذي خلق جميع خلقه في زوجية واضحة (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان)، ليبقى ـ تعالى ـ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد)، كما جاءت هذه الإشارات الكونية في سياق تنبيه المسلمين إلى أهمية التعرف على خلق الله، واستقراء سننه في الكون، وتوظيفها في عمارة الأرض، وفي حسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها.

ومع هذا التسليم والإقرار بأن الإشارات الكونية في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ هي بيان من الله الخالق، ووحي أوحاه إلى خاتم أنبيائه ورسله، فلا بد أن تكون حقاً مطلقاً، ولو أن علماء المسلمين اهتموا بتحقيق تلك الإشارات

الكونية تحقيقاً علمياً دقيقاً، لسبقنا غيرنا من الأمم بقرون كثيرة في الوصول إلى العديد من الحقائق العلمية الكبرى.

ولو أن المسلمين ـ حتى بعد أخذ هذه الحقائق عن غيرهم ـ قاموا بالبحث عنها في كتاب الله، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله، وبتقديمها إلى الناس في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه كوثيقة مادية ملزمة على ربانية القرآن الكريم، وعلى صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، لكانت من أنجح وسائل الدعوة: إلى هذا الدين الخاتم الذي بعث به النبي الخاتم، والذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه، ولكان في تلك الإشارات الكونية تثبيتٌ للمؤمنين على إيمانهم، وهداية للضالين التائهين من الكفار والمشركين، وما أكثرهم في زماننا، وما أخطرهم على مجتمعاتنا في زمن الضياع الذي يعيشه إنسان اليوم...! والذي ينكر غالبية الناس فيه أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية. وغالبية الناس في هذا الزمن ينكرون نبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته، مع اعتراف الكثيرين منهم بأثره البالغ في حياة البلايين من البشر، ولكنهم ينسبون ذلك زوراً إلى نبوغه وعبقريته لا إلى نبوته وهداية ربه واتصاله بوحي السماء.

ومصادر الدين الإسلامي هي: **القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة** التي عنيت بشرح قواعد الدين التي أنزلها الله ـ تعالى ـ في محكم كتابه، وبشرح كيفيات تطبيقها تطبيقاً عملياً في واقع الناس، وتفصيلها وتثبيتها، ومن هنا كانت العناية بالسنة ضرورة من ضرورات الدين، ولازمة من لوازمه، وكان الاسترشاد بأحكامها (في كثير من الأمور التي أجملها القرآن الكريم) من العوامل المساعدة في تفسير آيات هذا الكتاب المجيد؛ ولذلك حرص علماء الإسلام على جمع السنة النبوية، وتمحيصها تمحيصاً دقيقاً، وتبويبها، وشرحها، وعملوا على صيانتها، وحفظها بمختلف وسائل الحفظ كمصدر مهم من مصادر هذا الدين الخاتم.

وقد اعتنى كل من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة بركائز الدين من

العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، وكل ركيزة من هذه الركائز إذا درست بشيء من الموضوعية والحيدة، فإنها تثبت لكل ذي بصيرة أن كلًّا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، معجز في بيانه، ونظمه، معجز في تشريعه وعدله، وفي خطابه للنفس الإنسانية، وقدرته على تربيتها التربية الصحيحة، معجز في تفاصيل العقيدة التي يدعو إليها، والعبادة التي يأمر بها، والأخلاق التي يؤكد ضرورة الالتزام بمكارمها، والمعاملات التي يحدد دساتيرها، كما أن كلًّا منهما معجز في سرده لقصص عدد من الأمم السابقة، والأحداث الغابرة، وفي إنبائه بالعديد من الأمور المستقبلية التي تحقق بعضها بالفعل. وكل ذلك يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، كما يشهد بالنبوة وبالرسالة للنبي الخاتم الذي تلقاه ﷺ، وبأنه كان دوماً موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض: ولذلك يصفه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بأنه ﷺ ما كان ينطق عن الهوى.

والدقة الفائقة في سرد جوانب من قصص الأمم السابقة في كل من القرآن الكريم، وأقوال النبي الخاتم ﷺ وفي إنبائهما بالعديد من أمور الغيب المرحلي والمطلق، وفي خطابهما إلى النفس الإنسانية مما يؤكد هذه الحقيقة، وتأتي الإشارات الكونية بالإضافة إلى ركائز الدين داعمة لهذا التأكيد بأسلوب العصر ولغته.

ونحن في محاولاتنا لتفسير الإشارات الكونية الواردة في كل من القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ نحتاج إلى فهم النص أولاً فهماً دقيقاً في إطار اللغة العربية، ودلالات ألفاظها، وأساليب التعبير فيها، وفي ضوء أسباب النزول أو سياق الحديث النبوي الشريف، وأسباب وروده، وفي أنوار النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الأخرى المتعلقة بنفس الموضوع، وفي إطار المبادئ العامة والمقاصد الكلية للإسلام، بالإضافة إلى توظيف كل قطعي وثابت من المعارف العلمية الحديثة في المجال الذي تتحدث عنه الآية القرآنية الكريمة أو يشير إليه الحديث النبوي الشريف.

وإبراز كل من السبق القرآني والنبوي لكل المعارف الإنسانية بعدد متطاول من القرون بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وأسراره وظواهره وسننه، مع دقة علمية في التعبير، وشمول وإحاطة في الدلالة، وإيجاز في الصياغة، يعتبر ضرباً من الإعجاز، يجعل تلك الإشارات الكونية وسيلة من أفضل وسائل الدعوة إلى دين الله في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه، والذي يتعرض فيه الإسلام والمسلمون إلى هجمة همجية، كافرة، شرسة، مدعومة بكل وسائل التفوق المادي، ولكنها تفتقر إلى أبسط القيم الإنسانية، وأقل الضوابط الأخلاقية وانسلوكية الصحيحة!! وليس بغائب عن الأذهان ما تنشره وسائل الإعلام الكافر من أكاذيب، ضد الإسلام، ونبيه، وكتابه، ورموزه القديمة والحديثة.

وليس بغائب عن الأذهان ما فعلته جريدة «يولاندس بوستن» الدنماركية في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م (Jyllands Posten) من إساءات بالغة لشخص رسول الله ﷺ في شكل العديد من الرسومات الهزلية المسيئة التي نقلها عنها العديد من وسائل الإعلام الغربية، وهي الجريدة التي سبق لها أن رفضت مثل هذه الرسوم عن المحرقة اليهودية أو عن شخص السيد المسيح عليه السلام. وحين عوتبت الجريدة على ذلك تذرعت بحرية التعبير، وحين طلب عدد من سفراء الدول الإسلامية مقابلة رئيس وزراء الدنمارك «أندرياس إسموسن»، لمناقشة الأمر رفض بغطرسة وكبر وعدم لياقة الاستجابة لهذا الطلب، في الوقت الذي استقبل كاتبة صومالية مغمورة لمجرد أنها أعلنت قيامها بكتابة سيناريو لفيلم سينمائي يهاجم رسول الله ﷺ تحت رعاية «أندرياس إسموسن» شخصيّاً.

وحين قامت بعض الدول الإسلامية بسحب سفرائها في الدنمارك، وبإعلان المقاطعة الاقتصادية، ركع عبدة المال بسلسلة من الاعتذارات الملتوية المليئة بالكبر والغطرسة في محاولة لاسترضاء الجماهير الغاضبة من أبناء المسلمين.

وليس بغائب عن الأذهان تلك المسرحية الحقيرة التي حاول فيها عدد من شياطين إحدى كنائس الإسكندرية النيل من الإسلام العظيم ومن القرآن الكريم، وحين طلب منهم الاعتذار عن إساءاتهم رفضوا على جميع مستوياتهم، وقد

أخطأوا في حق دين لا يؤمنون به، ولا يمكن لهم أن يفهموه لحكم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عليهم بقوله الحق: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٧، ٥٨].

وليس بغائب عن الأذهان ما تنشره الصحافة الصهيونية / الصليبية في الوطن العربي وفي خارجه، وما يدور في العديد من الكنائس في داخل مصر وفي داخل غيرها من الدول الإسلامية وغير المسلمة من محاولات للنيل من رموز الإسلام بتلفيق الأفلام الحقيرة المزورة عليهم، وما لا يمكن أن يفسر بأن يكون من أعمال رجال يخدمون الدين.

وليس بغائب عن الأذهان ما يجري ـ ولا يزال يجري ـ من حروب صهيونية/ صليبية حاقدة على أراضي كل من فلسطين، والبلقان، والعراق، وأفغانستان، وكشمير، والشيشان، والفلبين، وتايلاند، وأراكان، والصومال، والسودان، ولبنان وعلى غيرها من أراضي المسلمين.

فمنذ أن انتهت الحروب الصليبية بهزيمة جيوش الغرب المعتدية على أرض فلسطين، وبعد اندحار الغزاة المعتدين أمام جحافل الجيش الإسلامي على هذه الأرض العربية الإسلامية المباركة، انصب تفكيرالغربيين على الانتقام من المسلمين باحتلال المزيد من أراضيهم، وإسقاط دولة خلافتهم ورمز وحدتهم، وبالعمل على تفتيت هذه الوحدة والحيلولة دون رجوعها بفرض الدساتير الوضعية، وأنماط الحكم المتعارضة، وبإثارة الخلافات الحدودية والعصبيات المذهبية والعرقية والفكرية والدينية، وبإقصاء الإسلام كلية عن دوائر اتخاذ القرار، وتجريمه وتجريحه في كافة وسائل الإعلام، ثم بمحاولة دراسته ونقده من أجل تشويهه وتحريف مقاصده.

وفي هذا الجو المليء بالكراهية، والتعصب الأعمى ضد الإسلام وأهله ظهرت مدارس الاستشراق التي كرست جهودها في دراسة كل من الإسلام

والحضارة الإسلامية، وتاريخ، وعادات، وسلوكيات المسلمين من أجل إيجاد ثغرات للهجوم عليهم منها. وطبيعي أن تأتي هذه الدراسات في غالبيتها بنتائج أبعد ما تكون عن الإنصاف وعن الموضوعية والحيدة العلمية؛ وذلك لأن جميع الحركات الاستشراقية كانت في نشأتها الأولى مرتبطة بأجهزة الاستخبارات الصهيونية/ الصليبية ومنبثقة عنها، لذلك جاءت أعمال المستشرقين: غالباً مشوبة بكثير من التزوير والتزييف والتحريف النابع عن مشاعر الكراهية والحقد، ونزعات الغرور والاستعلاء الكاذب..! وفي هذه الحروب الكلامية حاول المستشرقون التهجم على القرآن الكريم، وعندما فشلوا في ذلك، وارتدت أسلحتهم إلى صدورهم، وجهوا سهامهم إلى السنة النبوية المطهرة في حملة تشكيكية منظمة، كانت دعواهم فيها أن السنة لم تُدون على عهد رسول الله ﷺ لنهيه عن ذلك ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حتى لا يختلط شيء من السنة بتدوين القرآن الكريم. كذلك فإن الوضَّاعين الذين لم يستطيعوا الدس على القرآن الكريم لكثرة حفاظه، قد وجدوا لهم ثغرة في أقوال رسول الله ﷺ لقلة حُفَّاظِها، وذلك لانشغال أغلب المسلمين بحفظ القرآن الكريم أولاً.

وهؤلاء النفر من شياطين المستشرقين يعلمون جيداً أن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي الصلة الوثيقة بين أجيال الأمة الإسلامية من جهة، ونبيها ورسولها الخاتم ﷺ من جهة أخرى، وهو إمام الأنبياء والمرسلين، وأن قطع هذه الصلة بالتشكيك في سنة هذا الرسول الخاتم ﷺ يمثل تشكيكاً في الإسلام، وهدماً لركن أساسي من أركانه!

وعلى الرغم من وضوح الهدف من وراء هذه الهجمة الاستشراقية المغرضة والمتسترة زوراً برداء البحث العلمي؛ لتخفي كماً هائلاً من الكراهية والحقد، والتعصب للباطل ضد الحق، والدعاية زوراً وبغير أدنى دليل مادي إلى التشكيك في حجية السنة النبوية الشريفة، وفي مصداقية رواتها، وشراحها، وأغلبهم من كرام الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين ومن بعدهم، أملاً في إغراء المسلمين بالإعراض عن سنة نبيهم كوسيلة من وسائل هدم هذا الدين الخاتم ـ فإن نفراً من

أبناء المسلمين قد انساق وراء هذه الصيحات الشيطانية المنكرة ـ والمؤامرات الحاقدة الماكرة، فنادى بأن الدين جاء في القرآن الكريم لأنه متواتر، وفي السنة العملية لأنها من حيث العمل بها في تواصل أصبحت تحقق صفة التواتر، أما عن السنة القولية فلا يلزم العمل بها . . . وفي هذا الادعاء الباطل افتراء على رسول الله ﷺ وعلى سنته، ومعارضة صريحة لأقواله الشريفة وذلك من مثل قوله ﷺ: « . . . **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ . .**»(١)

وقوله: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»(٢) يعني بذلك السنة، والسنة تأتيه ﷺ بالوحي كما يأتيه القرآن الكريم، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن الكريم، والسنة تفسِّر القرآن وتبيّنه، ولذلك اتفق علماء الإسلام على أن الأخذ بالسنة واجب، والعمل بها حتم، وتحكيمها فرض على جميع المسلمين. وفي الادعاء الباطل بعدم حجية السنة القولية مخالفة صريحة لأوامر الله ـ تبارك وتعالى ـ لقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

● ولما كانت مصادر التشريع الإسلامي تتلخص أساساً في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والإجماع والقياس، ولذلك قال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢].

● ولما كانت السنة هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفه أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة الشريفة أو بعدها.

---

(١) الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه(٤٤٠٤٢)، وأحمد (١٦٦٩٢).

(٢) أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (١٦٧٢٢).

● ولمّا كانت طاعة الرسول ﷺ واجبة بنصوص القرآن الكريم الذي يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فيه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

ويقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

ويقول ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

ويقول ـ تعالى ـ في نفس السورة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

● ولما كان ربنا ـ تبارك وتعالى ـ قد قرن طاعة الرسول ﷺ بطاعته في عدد غير قليل من آيات القرآن الكريم واعتبر مخالفة ذلك كفراً فقال ـ عز من قائل ـ:

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال ـ تبارك اسمه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

● ولما كان القرآن الكريم يعتبر اتِّباع رسول الله ﷺ طاعة وحبًّا لله، وسبباً في حب الله لعباده ومغفرة لذنوبهم، حيث يقول على لسان المصطفى ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

● ولما كان القرآن الكريم يحذر من مخالفة أوامر رسول الله ﷺ فإنه يهدد المخالفين بالوقوع في الفتنة أو العذاب الأليم، وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

● ولما كان القرآن الكريم يحرم على المؤمنين مخالفة حكم رسول الله ﷺ أو عصيان أوامره فيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

● ولما كان القرآن الكريم ينفي الإيمان على الذين يعرضون عن تحكيم الرسول ﷺ في مواطن الخلاف بينهم فيقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

● ولما كانت آيات القرآن الكريم تُؤكد أن السمع والطاعة لله وللرسول ﷺ هما من صفات المؤمنين ومن لوازم الفلاح في الدنيا والآخرة فيقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

● فإن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ يقول محذراً من مصير الذين عصوا الرسول في يوم القيامة ما نصه:

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

● ولما كان من أقوال المصطفى ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي**»[1]. ويقول ﷺ: «**عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»[2].

● وقيل لرسول الله ﷺ في عام سنة (أي جدب) سَعِّر لنا (أي ثمن لنا لكل سلعة) يا رسول الله. قال: «**يسألني الله عن سُنَّة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها، ولكن اسألوا الله من فضله**»[3] مما يدل على أن السنة تأتيه بوحي من الله تعالى.

---

(١) مالك (١٦٦١)، والبيهقي (٢٠٨٣٣).

(٢) الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢، ٤٤) وأحمد (١٦٦٩٢).

(٣) أخرجه كل من الطبراني وأبي داود، والترمذي رقم: ١٣٦٢، وابن ماجه، وأحمد.

● ويقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال ﷺ: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(١).

● ويقول ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فَرُبَ مبلغ أوعى من سامع**»(٢).

● وقد حذر ﷺ من الكذب عليه تحذيراً شديداً فقال: «**إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(٣).

لذلك كله حرص الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ على نقل أخبار رسول الله ﷺ معتبرين أقواله وأفعاله وتقريراته أحكاماً شرعية لا يختلفون عليها، بل يسلمون بها تسليماً مطلقاً، ويتَّبعونها اتباعاً تاماً، ويلزمون أنفسهم بها إلزاماً كاملاً، ومن هنا فقد حرصوا على حفظها، وتناقل نصوصها نقلاً متواتراً، كما حرصوا على تدوينها في حياة المصطفى ﷺ وبعد مماته، على الرغم من حرصه الشديد ﷺ على القرآن الكريم وتدوينه قبل كل شيء فقال: «**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**»(٤). إلا أن النهي هنا كان خاصاً بمن لا يؤمَن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة، وأن هذا الحديث قد نسخ بقول المصطفى ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**اكتب عني فوالذي نفسي بيده ما خرج من فمي إلا الحق**»(٥).

وعلى الرغم من ذلك كله فقد حمل أعداء الإسلام على السنة النبوية المطهرة وهاجموها وشككوا في حجيتها، وفي صدق جامعيها ورواتها من أعلام الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

ومن المؤسف حقًّا أن يتبع أعداء الإسلام في ذلك نفر من أبناء المسلمين

---

(١) البخاري (٧٢٨٠)، وأحمد (٨٥١١).
(٢) الترمذي (٢٦٥٧)، والدرامي (٢٣٠).
(٣) البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).
(٤) مسلم (٣٠٠٤)، وأحمد (١٠٧٠١)، والدرامي (٤٥٠).
(٥) أبو دواد (٣٦٤٦)، وأحمد (٦٤٧٤، ٦٧٦٣).

الذين فتنوا بالحضارة الغربية فتنة كبيرة، وانخدعوا بمناهج المستشرقين والمؤرخين الغربيين، وهي مناهج كاذبة؛ لجهلهم بحقائق الإسلام وتراثه؛ ولانطلاقهم من محاضن أجهزة الاستخبارات المتعددة. ولحقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين، ولتعصبهم الأعمى، وغرورهم، واستعلائهم على معرفة الحق؛ ولجهلهم بدين الإسلام، وبأصوله، ومصادره، مع شيء من الكبر، وقسوة القلب، والعجب بالذات.

وقد تنبأ المصطفى ﷺ بظهور هذه الطائفة من منكري السنة النبوية المطهرة فقال: «**يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يحدَّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حَرَّمْناه، ألا وإن ما حرَّم رسول الله مثل ما حرَّم الله**»(١).

وفي رواية أبي داود يقول ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...**»(٢).

وهذا الحديث من معجزات رسول الله ﷺ الإخبارية التي أخبر فيها بما سيقع في أمته من بعده، فوقع كما أخبر تماماً؛ دليلاً على اتصاله بوحي السماء، وعلى صدق نبوته. فقد تتابعت الأقوال الضالة على رد **سنته**، وذلك من القرن الهجري الأول إلى اليوم، وكان منها من سموا أنفسهم باسم «**القرآنيين**»، **والقرآن منهم براء**. وقد ظهرت هذه الفرقة في شبه القارة الهندية في بدايات القرن الرابع عشر الهجري. وتأثرت بالفكر الاستشراقي المعادي للإسلام، وانطوت تحت مظلة الاحتلال البريطاني الذي أسس الحركة القاديانية الكافرة ليحارب بها الإسلام الذي استعصى عليهم، كما أسس حركة القرآنيين لنفس الغرض الحقير.

وانطلاقاً من عباءة الاحتلال البريطاني **أنكر القرآنيون حجية السنة كلها**،

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم: ١٢.

(٢) أخرجه أبو داود: ٤٦٠٦.

وأقاموا من الجمعيات المروجة لفكرهم ما أقاموا، وأصدروا الكتب والرسائل والمجلات، فأقام الله ـ تعالى ـ للرد عليهم من أهل العلم من فند دعاواهم الباطلة، وأثبت خروجهم عن الملة الإسلامية بإنكارهم سنة رسول الله ﷺ، وقد حذر القرآن الكريم من أمثال هؤلاء بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ونحن لا ننكر محاولات نفر من الحاقدين من الكفار، والمشركين، والمنافقين، والزنادقة، والشعوبيين، في الدس على رسول الله ﷺ، وفي وضع بعض الأحاديث المكذوبة، كما لا ننكر أن الخلافات السياسية التي أثارها هؤلاء في أواخر خلافة كل من سيدنا عثمان رضي الله عنه، وسيدنا علي ـ كرم الله وجهه ـ كانت من الأسباب المشجعة على وضع الحديث، إلا أن جهود علماء المسلمين من أجل تحقيق السنة وتنقيتها من دس الوضَّاعين قد فاقت جهود التحقيق في أي مجال آخر. وقد سلك علماء الحديث من أجل تحقيق ذلك طرقاً في النقد والتمحيص لم يُسْبقوا بها من أجل تمحيص إسناد الحديث والتوثق منه، وأنشأوا من أجل ذلك من العلوم ما لم تعرفه البشرية من قبل، وذلك من مثل: «**علم الجرح والتعديل**»، و«**علم مصطلح الحديث**»، وغيرهما من علوم الحديث التي فاقت خمسة وستين علماً، وبذلك قسموا الحديث إلى: صحيح، وحسن، وضعيف، وتمكنوا من تدوين وتحقيق كل من: السيرة، والسنة النبوية المطهرة كما لم تدون سيرة أو يدون أو يحقق علم من العلوم الإنسانية من قبل. وقد وضع علماء الحديث العديد من الضوابط المنطقية لمعرفة الأحاديث الموضوعة من مثل كتاب: «الموضوعات» لابن الجوزي، وكتب: «الضعفاء»، للعقيلي، و«الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي.

وردًّا لهذه الدعوة الباطلة المشبوهة قمت بجمع أحاديث رسول الله ﷺ التي أشارت إلى عدد من أشياء الكون وظواهره؛ لشرح ما جاء فيها من حقائق كونية، تمت صياغتها بدقة تعبيرية فائقة، وبإيجاز معجز، وبحكمة علمية بالغة، وسبق

بالإشارة إلى عدد من الحقائق الكونية أو الظواهر والسنن التي لم تصل إليها العلوم المكتسبة إلا منذ عقود قليلة، وقد تكلم بها المصطفى ﷺ من قبل أربعة عشر قرناً. وهذا السبق يؤكد جانباً من جوانب الإعجاز في أحاديث رسول الله ﷺ هو «**الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة**» الذي لم يسبق أن لقي اهتماماً كافياً من علماء الحديث؛ لأن هذه الحقائق العلمية لم تكن متاحة لأحد من الناس في أزمنتهم، ولم يلق اهتماماً كافياً من المشتغلين بجوانب الإعجاز العلمي في كتاب الله لانشغالهم ببحار المعرفة العلمية في هذا الكتاب المجيد.

وهذا الجانب العلمي هو أحد جوانب الإعجاز العديدة في أحاديث رسول الله ﷺ، وهو وحده كاف لدحض دعاوى المبطلين، وتشكيك المشككين في صدق رواة الأحاديث، ودقة جامعيها، ولرفض الدعوة الباطلة إلى إسقاط حجيتها، مع تسليمنا بأن هناك من الأحاديث **الضعيف، والغريب، والموضوع، والمضطرب، والشاذ، والمردود، والمتروك، والمعلّ، والمنكر وغيرها من الأحاديث التي لا يؤخذ بها**، والتي قام علماء الحديث بغربلتها غربلة دقيقة في تصانيفهم المتعددة لها.

وعلماء الحديث ـ بصفة عامة ـ وعلماء الجرح والتعديل ـ بصفة خاصة قد أعطوا علم الحديث من جهدهم ما أغنانا عن الخوض في كلام دسه أعداء الإسلام على رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً، **وكان علم الحديث مدرسة تعلم منها الغرب، بل العالم كله معنى التوثيق العلمي الصحيح.**

وإجلالاً لرسول الله ﷺ لا يجوز لمسلم أن يطعن في حديث منسوب إليه، بل الواجب ـ إن فهم الحديث الشريف ـ عَمِلَ به، وإن لم يفهم دلالته فمن الواجب أن يسأل أهل الذكر أو أن يتوقف عنده، خاصة إذا ثبتت صحة سند الحديث عن طريق علماء تحقيق السند.

وحتى بعض الأحاديث التي قد يكون في سندها شيء من الضعف، فإن الدقة العلمية الواردة فيها قد تجبر هذا الضعف، ما لم تكن هناك مخالفات أخرى (شرعية، أو لغوية، أو تاريخية أو غير ذلك). ومن هنا كانت الدقة العلمية الواردة

في الحديث النبوي الشريف إحدى القرائن لتصنيفه، ولرفع السند إذا كان أحد الرواة فيه شيء من الجرح، لأن ذلك لا يطعن في صحة الحديث مادام مضمونه العلمي صحيحاً.

وكذلك بعض الأحاديث الصحيحة السند، والتي وضعت في مجموعة **غريب الحديث**، أو **غريب غريب الحديث**، أو **فائق غريب الحديث**؛ لغرابة في ألفاظها أو لسبق محتواها العلمي لسنوات التحقيق بقرون كثيرة، ولعجز المحققين عن فهم دلالاتها العلمية في زمن التحقيق؛ لعدم توافر المادة العلمية في زمانهم، ولا التخصص العلمي الذي يمكن أن يوصلهم إلى ذلك. هذه الأحاديث لا بد للعلماء ـ في عصر تفجر المعارف العلمية الذي نعيشه ـ من إعادة النظر فيها مستعينين ـ بعد الله ﷻ ـ بفيض الحقائق العلمية المتاحة، وبالمتخصصين في كل حقل من حقولها من علماء المسلمين الذين اشتهروا ـ مع تفوقهم في تخصصاتهم ـ بتقواهم وورعهم؛ وذلك لفهم دلالة تلك الأحاديث ورفعها من الخانات التي تم الحجر عليها فيها لاستفادة الأمة بها، لأن رسول الله ﷺ لم يقل إلا ما فيه صلاح الناس عامة، وصلاح أمته خاصة، ولا يجوز للأمة أن تحرم من هذا الخير قطرة واحدة؛ بسبب أي من الحواجز العلمية أو اللغوية أو التاريخية.

obeikandl.com